

عن السينما الفلسطينية المقاتلة

(١)

هاني ٠٠٠ سنسمح لانفسنا بالبكاء

لا تمويل ، لا كاميرات ، لا افلام ، لا استديو ، وكل شيء كان مفقودا الا الشعب المقاتل العظيم والثورة المسلحة ، وهاني ومصطفى وسلافة كل شيء كان مفقودا الا هذه الاشياء ، وتدور البندقية على كل الاتجاهات والمحاور وتدور الكاميرا على كل الزوايا ، وفي كل زاوية كان الموت بالانتظار ، وفي كل لقطة كانت طلقة تحاول اختراق العدسة والعين والجسد ، ولكن القضية كانت اكبر من كل شيء ، اكبر من الطلقة واغلى من العين والعدسة ، ويجتمع الناس ليشاهدوا بدقائق ما حققه هاني ورفاقه بايام وايام وربما سنوات ، ويكون التقدير اكبر والاعجاب اكبر وفي لحظة ينسى التعب والجهد ... ينسى كل شيء ويحمل البندقية والكاميرا ويقتحم اخطر الجبهات واعقد الزوايا ، ويرتفع اسم فلسطين في عالم السينما كما ارتفع في كل الجبهات والمحافل عاليا .. وفلسطين تصيح تحت الاضواء ، وهاني يرفض ان يخرج من دائرة الظل .. فالقضية اكبر من كل الاسماء .. اكبر من كل العدسات .. وفي عينطورة يخرج هاني كمداته حاملا البندقية والكاميرا .. ويسقط هاني الجسد شهيدا .. ويبقى هاني البندقية .. هاني الكاميرا . هاني الرمز المبدع الذي سترتفع صورته في صالات العرض في يافا والقدس مؤسسا للسينما الفلسطينية المقاتلة ، وستعرض افلام هاني جوهرية في هذه الصالات وتلك الساحات ، ويومها سنسمح لانفسنا بالبكاء .

مؤيد البحش

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٢)

مناضل ولا كل المناضلين

كان ثالث ثلاثة خلقوا الفن السابع الفلسطيني ،

كان رجلا لا يعرفه الناس ، لا يتداولون اسمه على صفحات الصحف سيارة او غير سيارة ، لكنه كان يعرفهم جميعا ، ويدخل الى كل بيت والى كل قلب واحبوه دون ان يعرفوه .

كان يحمل مصورته وبندقيته ويقطع النهر يقاتل ويصور ، وفي القاعدة ثمة مختبر صغير اقامه ، بعيد الصورة الى وكالة الفوت حتى بدء العملية فيستعيرها دون استئذان ثانية وهكذا دواليك .

كانوا ثلاثة ، ولم يكن بتصورهم انهم وهم يؤرخون للشورة سيخلفون تاريخا جديدا على امتداد السينما العربية والمالية ، كانوا الفتاة سلافة والخرج مصطفى ابو علي وهو المصور هاني جوهرية ، كانوا يطمحون لعمل فيلم فلسطيني واحد ، فاذا بهم من خلال العمل

هاديء حتى الانفجار .. يحاصر كل شيء بهدوء ، من شارح المتحف حتى عينطورة .. ويختصر التاريخ مكثفا في دقائق فاتصا الجراح على كل الجبهات ،

وحين كان يحمل الكاميرا -الرشاش ليصور لقطة لم يكن يفكر ان نبا استشهادا لن يكون احدي لقطات فيلم جديد او خبر تسجيلي قادم ، وهاني المخرج والمصور والمقاتل لم يحقق كل طموحاته ولم يصل الى ما يريد تماما لان طموح هاني وما يريده هاني كان الفلم الفلسطيني الذي يعرض في أزقة يافا وساحات حيفا وابواب القدس ويحكي عن تاريخ تحرير فلسطين ، وهاني في هذه المسألة لم يكن متواضع الطموح ابدا لا لانه مفرور او حالم ولكن لان شعبه كان في كل خطوة وطلقة يتخطى اطر الاحلام والغرور مؤكدا حتمية الوصول الى البحر بعطائه وزخمه الثوري ، ولم يكن استسهاد هاني الا تأكيدا جديدا لهذه الحتمية ، وهاني المصور والمقاتل لم يصور كل شيء عن فلسطين ولكنه كان يحفظ كل اسماء الافلام التي صورتها عيون اطفال فلسطين واختزنتها في الذاكرة .. وهاني المقاتل باستشهاده قال لنا الشيء الكثير وحدد ملامح السينما الطلوبة والمصور المطلب والمخرج المطلوب : حدد مكان الفلم بساحة القتال والمراع ، وحدد مكان المصور والمخرج تحت القصف ، وحدد ملامح الممثل المطلوب ، الممثل الذي لا اسم له سوى الشعب بأسره يمثل تاريخه ونضاله والكاميرا تختلس بعض هذا التاريخ وهذا النضال .

هاني جوهرية ، هذا الاسم الهاديء حتى الانفجار لم يكن اسما علما في تاريخ الصحافة العننية والسرية ، لكنه كان العلم البارز تحت القصف تعرفه قرى الجنوب والاسمنت المتطاير والشوارع الساخنة ، تعرفه شظايا القنابل على اختلاف انواعها فكم من مرة داعبت اذنيه بازيز الموت ، متراجعة أحيانا وزائرة للحمه وعظامه احيانا اخرى ، علما واي علم كان في هذا المجال ، وهل اجمل من الشهيد علما ؟ .. وهل اعظم منه آية ، وهل هناك اروع من مقاتل يقاتل باللقطة .. ومن مصور يقاتل بالطلقة ؟. وهاني كان هذا وذاك .. وهاني كان الشهيد الذي قدم الشهداء رمزا للمطاء ولم يقدم نفسه مخرجا او مصورا وكان دائما يقول هم كل شيء هم البطل ، والمصور والمخرج .. هم كل شيء .. وهاني كان بعض هذا الشيء ، هاني الذي كان احد الجنود المجهولين الذين كانوا يسرقون الكاميرات من وكالة الفوت ليسجلوا البطولات معرضين انفسهم للفصل ، ويضعون لقمة عيشهم على ابواب الانتطاع ، ويضحون بكل شيء ولا يأخذهم بريق المعاش ولا الاضواء ويلقون الضوء على قضية شعبهم ومن الصفر كانت البداية .. لا امكانيات،

والعمل الدؤوب وحده يخلقون سينما فلسطينية ، سينما النضال العربي وتدخل افلامهم القارات الخمس سراً في اكثر الاحيان وعلنا في احيان قليلة .

الناس تختبئ من الفارات الجوية والقصف المدفعي الا هو يصبوب بندقيته حيناً ويصبوب مصورته حيناً اخر ، كان فنانا مقاتلاً .

وقبل استشهاده بأيام كنا معنا هنا في بغداد ، فقد اصبح لافلام فلسطين مهرجانها ، وجاء الفنانون المناضلون كباراً وصغاراً ، خفافاً وثقلاً ، يحوم حولهم الصحفيون والصحفيات ، فالشهرة بريسق يبهز حتى المناضلين الا هو . فقد تعامل مع الكاميرا كبنديقية وبنديقية فقط ، واجره للحديث واروجه ، فهذا الحشد السينمائي الهائل بدأه هو قبل سنوات بكاميرة يسرقها ويعيدها فيجب ان يتحدث وما هي الا كلمات على ذلك المسجل الارعن ويعتذر .. انه على عجلة للعودة الى ساحة القتال .

ويعود الى عينطوره حاملاً معه السؤال : ماذا عن السينما الفلسطينية لو استشهد ؟ لكنه كان قد اجاب : نحن مهدينا الدرب وشعبنا معطاء فلا تياسى .. يعود الى عينطوره ليقابل الانعزاليين الفاشست الخونة . ويستشهد هاني جوهرية ، ذلك الفتى الفنان .. ذلك الكادر العملي الذي خلق من العدم سينما النضال الفلسطيني .. ولكنه وهو مسجى في كنيسة الروم الارثوذكس تكشف امه القطة لتقبل شفثيه المتسمتين فتعزبها شقيقته قائلة : نعم لقد استشهد لكنه لم يكن كما بدا ثالث ثلاثة .. لقد خلق جيشاً من المصورين والمخرجين السينمائيين المناضلين .. وترك ارثاً لكل الفنانين العرب .. انه موجود في قلب كل ام عربية وفي عيون كل طفل عربي .

سهيل الخالدي

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٣)

« تقرير عن الوضع في لبنان »

روما - من نبيل رضا مهاني

فاز فيلم فيصل الياسري القصير الذي أنتجته المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد « تقرير عن الوضع في لبنان » بجائزة مهرجان قرطاج الدولي الاخر . ويعتبر الفيلم بحق رائعة فنية تستحق كل تقدير . وهو عبارة عن حوار مكثف بين الناقد اللبناني وليد شميوط وطفلة لبنانية لاجئة في بغداد عمرها اربع سنوات واسمها رنا .

الافلام القصيرة التي اخرجها فيصل الياسري توحى في الحال بشمور قوي كامن لدى الفنان باللحظة الراهنة التي يريد تقديم رايه فيها ، أي تقديم فيلم عنها .
يكفيها أن تأخذ « نحن بخير » وفيلمه الاخر « تقرير عن الوضع في لبنان » . فبرغم أن الفيلم الاول لا يتعدى بضعة دقائق ولا يتجاوز الثاني الربع ساعة ، فان الياسري ، يصبر بكل امتلاء في كليهما عن الموضوع الراهن ، عن وضع السكان العرب في المناطق المحتلة في الاول ، وعن الوضع الناجم في لبنان الحبيب في الثاني .

قد يكون محض صدفة أن التقى كل من الياسري والناقد وليد شميوط ، الذي شاركه في اعداد الفكرة ، بتلك الطفلة الرائعة ، رنا ، التي تشير في حد ذاتها ، في تكوينها ، في عمرها ، في تعابير نظراتها ، في غنجها ودلالها ، في جرأتها وتمنعها ، في براءتها وانمها الكامن ، في اشماعات الحقد والمرح في عينيها ، تشير بهذا كله الى المدينة موضوع الحديث : الى مدينتها المنكوبة بيروت . لكنني أشك على أي حال انه كان بوسع مخرج اخر غير فيصل الياسري ان يحوى المادة المصورة التي امتلكها (ولنقل تجاوزاً : صدفة) الى عمل فني متكامل ذي دلالات عميقة ومؤثرة بالفعل . ولا نشير بهذا الى مجرد ادخائه مواد الأرشيف داخل حديث رنا واخيها نبيل ، بل - وقبل كل شيء - الى تصرفه - بواسطة المونتاج - بالمادة السينمائية . وهكذا فان كل من يجهل مأساة لبنان لا بد أن يعرف ، اذا رأى هذا الفيلم القصير ، الكثير عن الجوانب الاسانية الفاجعة لمأساة لبنان الحبيب .

تقول رنا : « بكيس الزر قوام بتظير طلقفة بتيجي هون ، او بتفوت هون ، او بتفوت بجرله ، او بتفوت هون أو بتفوت هون » . كل هذا وهي تشير الى مختلف أنحاء جسدها ، وكأن الامر لا يكفي مأساوية حتى نرى ان الياسري يتبع المشهد بمقاطع ارشيفية عن قتال في شوارع بيروت .

ويقول أخوها نبيل - « هلا العالم اذا اجت حدهم قذيفة ما يخافوا ، بدهم صاروخ منشان يخافوا » .

ثم تغني رنا « كلاشكوف خلي رصاصك بالعالي » بينما يعدد أخوها الذي لا يتجاوز عمره اثماني سنوات أنواع الاسلحة الثقيلة التي جربها لبنان الحبيب من الدوشكا والهاون والام جي ... بعدها تقارن رنا ببراءة طفولتها بين الكنايب والحرامية ، وعندها يرينا الياسري المسلحين المثلثين وهم يفتشون السيارات ويقتلون على الهوية .

في النهاية تعترف رنا : « اذا رجعت قصة الحرب وما خلصت مش راح ارجع على بيروت ، راح اظل هون عند هيفاء .. بس تغلص الحرب وما تعود بس يبطلوا ، بموتوا كلهم ، خلص ... نرتاح بنضل هيك قاعدين » .